

قسطنطين زريق.. رئيس الجامعة السورية
مرجعية العرب الجامعة

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

Contents

- وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة:.....2
- طفولته وصباه في دمشق:.....3
- قسطنطين زريق مستشاراً أولاً في المفوضية السورية في واشنطن:.....4
- مؤلفات الدكتور قسطنطين ومساهماته الفكرية:.....5
- المبادئ التي ذكرها قسطنطين زريق في الكتاب الأحمر:.....5
- مؤلفات الدكتور قسطنطين زريق:.....6
- كتاب هذا العصر المتفجر: نظرات في واقعنا وواقع الإنسانية":.....8
- يقول قسطنطين زريق:.....8

قسطنطين زريق.. رئيس الجامعة السورية

مرجعية العرب الجامعة

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري



العلامة الدكتور قسطنطين زريق مفكر ومؤرخ عربي سوري وأحد أبرز دعاة القومية العربية، ولد في حي القيمرية بدمشق بتاريخ 5 نيسان 1909، حصل على شهادة بكالوريوس بالأداب من الجامعة الأمريكية ببيروت، ونال الأستاذية في الآداب بجامعة شيكاغو، ثم نال درجة الدكتوراه بالفلسفة من جامعة برنستون. عمل وزيراً مفوضاً لسورية في واشنطن عام 1946، ثم عين لاحقاً رئيساً للجامعة السورية بدمشق عام 1949 حتى استقال في عام 1952.¹

- وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة:

منح قسطنطين زريق وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة عام 1956، بعد استقالته ذهب إلى بيروت ليعمل استاذاً بالجامعة الأمريكية وشغل منصب نائب رئيس الجامعة الأمريكية ورئيساً مكلفاً 1955 - 1957، توفي الدكتور قسطنطين زريق بمشفى الجامعة الأمريكية ببيروت عن عمر ناهز 91 عاماً في 12 آب 2000.

انشغل قسطنطين زريق بالمسألة القومية في حياته اليومية والمهنية والأكاديمية، (ونظر لها، وكتب في أفقها، ورسم في سياسات توحيد الأقطار

* نشرت مؤسسة الفكر العربي مقالة للكاتب أحمد فرحات بعنوان: قسطنطين زريق ... مرجعية العرب الجامعة، الأربعاء 8 يناير 2020.

¹ - استقال قسطنطين زريق استقال من رئاسة جامعة دمشق في 8 آذار 1952، عندما حصلت مواجهه بينه وبين العسكر، عندما منعهم من دخول الحرم الجامعي بحثاً عن طالب رفض تسلّم شهادته الجامعية من رئيس الدولة في حينها العقيد أديب الشيشكلي. فقد صفعه العسكري على وجهه ودخل بالقوة إلى جامعة دمشق، في حادثة أليمة ظلّ قسطنطين زريق يتحاشى ذكرها حتى وفاته.

العربيّة، وتجديد الوعي العربي، وانبعاث قوى الأمة من بؤابة العلم والتكنولوجيا والانخراط المُباشر في فضائهما، رؤىً وابتكاراً. علاوة على التثقيف القومي بوجوهه المُختلفة: التاريخي منه، والثقافي والحضاري، ثمّ معالجة شؤون الحاضر والمستقبل، والاستفادة من الماضي كقوةٍ دُفع في الحاضر والمستقبل، ودائماً من خلال ما سمّاه "الوعاء الديمقراطي". ولذلك كانت كُتبه التي أَلفها تندرج بالتتابع وفق هذا السياق.²

- طفولته وصباه في دمشق:

(أمضى قسطنطين طفولته وصباه في دمشق، وكانت عائلته قد انتقلت إلى دار للسكن تحيط بالكاتدرائية والمدارس الأرثوذكسية، وتجاور الأحياء الإسلامية. وقد خلفت أجواء التسامح والتعاون التي سادت بين أبناء الديانتين أثراً بالغاً في نفسية زريق وشخصيته.

أتم زريق دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الطائفة الأرثوذكسية. وعلى الرغم من الارتباط الطائفي لهذه المدارس، إلا أنها ضمت عدداً لا بأس به من التلامذة المسلمين، وعُرفت برفعة مستواها خصوصاً في العلوم العربية).³

ونظراً لتفوقه العلمي حصل على منحة دراسية في الجامعة الأمريكية ببيروت، قدمها له الدكتور فيليب حتى أستاذ التاريخ في تلك الجامعة.⁴ أتقن قسطنطين زريق اللغتين العربية والإنجليزية وألف كتباً باللغتين، كما أجاد الفرنسية وألم باللغة الألمانية. إلا أن معظم مؤلفاته كانت بالعربية، وهي اللغة التي يبدو أنه كان يفضل دوماً الكتابة بها. (وهذه إحدى ميزات المفكر قسطنطين زريق، فعلى الرغم من أنه قضى جميع مراحل دراسته

² - أحمد فرحات، قسطنطين زريق.. مرجعية العرب الجامعة، مؤسسة الفكر العربي، الأربعاء 8 يناير 2020.

<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08012020&id=e25228e2-a672-4a7e-96ee-06fd4820d758>

³ - قسطنطين زريق، <https://www.asharqalarabi.org.uk/center/rijal-zraq.htm>

⁴ - عزيز العظمة، قسطنطين زريق: عربي للقرن العشرين، مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت 2004، ص 18.

الجامعية في مؤسسات أجنبية، وارتبط خلال معظم سنوات العمل في حياته بمؤسسات تربوية أجنبية، إلا أنه اختار أن يخاطب باستمرار القارئ العربي، وأن يتوجه في كتاباته إليه، وأن تكون المواضيع التي يختار الكتابة بها ذات صلة مباشرة بالأوضاع السائدة في الوطن العربي وبمستقبله).⁵

- قسطنطين زريق مستشاراً أولاً في المفوضية السورية في واشنطن:

(وفي آذار 1945، تم استدعائه إلى دمشق لمقابلة رئيس الجمهورية شكري القوتلي، الذي قام بتعيين قسطنطين زريق مستشاراً أولاً في المفوضية السورية في واشنطن وعضواً في الوفد السوري المؤسس للأمم المتحدة، برئاسة رئيس الحكومة فارس الخوري وعند استدعاء السفير ناظم القدسي إلى دمشق أصبح قسطنطين زريق وزيراً مفوضاً لدى حكومة الرئيس الأميركي هاري ترومان، الذي قدم له أوراق اعتماده يوم 13 شباط 1946. صرف الدكتور زريق جهداً كبيراً في الدفاع عن استقلال سورية وعن القضية الفلسطينية التي آمن بها وعمل كثيراً من أجلها طوال حياته. وقد وضع كتاباً عن احتلال فلسطين سنة 1948، أدرج من خلاله عبارة "النكبة" وقام بإدخالها على القاموس السياسي العربي).⁶

تميز قسطنطين زريق قد عن معاصريه من القادة السياسيين، بأنه مؤسس فكرة، لا مؤسس كيان حزبي، لكنه مر بتجربة حزبية عابرة في مطلع شبابه، حيث أسس مع بعض زملائه في عام 1932 "عُصْبَةَ العمل القومي" والتي وضع لها ميثاقاً ومخططاً للوصول إلى قيادة الحركات الحزبية العربية أسماه "الكتاب الأحمر" بسبب لون غلافه لا بسبب محتواه، ولا يُعرف خلال حياة الدكتور "قسطنطين زريق" عملاً حزبياً منظماً غير هذه التجربة العابرة، سوى احتضانه لـ "جمعية العروة الوثقى" الطلابية خلال فترة عمله أستاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت وتشجيعها على بناء وعي قومي مُناهض

⁵ - المصدر السابق.

⁶ - قسطنطين زريق،

للفوذ الاستعماري في المنطقة كحلف بغداد أو النفوذ الغربي المُعادي لحركة القومية العربية خلال مرحلة المد القومي الناصري في عقدي الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن الماضي).⁷

- مؤلفات الدكتور قسطنطين ومساهماته الفكرية:

يُعد قسطنطين زريق من أبرز المفكرين القوميين العرب، هذا التيار الذي بدأ ينمو منذ بداية القرن العشرين، بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، حيث التف حول زريق مجموعة من القوميين الذين عُرفوا بجماعة الكتاب الأحمر. أهم المبادئ التي جاءت في كتابه (الكتاب الأحمر) تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي الفكرة العربية؟
- ما هي القومية العربية؟
- من هم العرب؟
- ما هي البلاد العربية؟
- ما لزوم العصبيّة العربية؟
- ما هو التنظيم الذي يؤلف المساعي القومية ويوجهها.

- المبادئ التي ذكرها قسطنطين زريق في الكتاب الأحمر:

أجابت المادة الأولى من المبادئ التي ذكرها قسطنطين زريق في الكتاب الأحمر على السؤال التالي: ما هي الفكرة العربية؟⁸

(الفكرة أو القضية العربية تعبير مطلق عن الحركة التي يقوم بها العرب لتحرير أنفسهم من الاستعمار والاستعباد والفقير والجهل وسائر ضروب الوهن، على أن يؤلفوا شملهم ويتحدوا في دولة عربية قومية قوية متحضرة،

7 - صلاح زكي أحمد، قسطنطين زريق.. مفكر عروبي عاش ومات على (الأمل القومي)، ارس 24، 2020

<http://aswatonline.com/2020/03/24/%D9%82%D8%B3%D8%B7%D9%86%D8%B7%D9%8A%D9%86->

8 - قسطنطين زريق، <https://www.asharqalarabi.org.uk/center/rijal-zraiq.htm>

ليصونوا بذلك كيانههم المادي والمعنوي، ويرفعوا شأنهم ويستمروا في تأدية رسالتهم الإنسانية والحضارة العالمية).

والمادة الثانية على السؤال: ما هي القومية العربية؟

(هي مجموعة الصفات والمميزات والخصائص والإرادات، التي ألقت بين العرب، وكونت منهم أمة كوحدة الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والمطامح والألام والجهاد المستمر والمصلحة المادية والمعنوية المشتركة. والقومية العربية هي محل تقديس وفخر عند العرب لأنهم تميزوا عن سائر الأمم، وامتازوا عليها خلال العصور، وبها نهض مجدهم الحاضر وكفل لنفسه النمو والبقاء إلى الأبد).

والمادة الثالثة على سؤال: من هم العرب؟

(العرب هم من كانت لغتهم العربية، أو من يقطنون البلاد العربية وليست لهم في الحاليتين أية عصبية تمنعهم من الاندماج في القومية العربية).

أما المادة الرابعة فقد أجابت على سؤال: ما هي البلاد العربية؟

(البلاد العربية هي جميع الأراضي التي يتكلم سكانها اللغة العربية في آسيا وأفريقيا، أي هذه الأراضي الواقعة في الحدود التالية: من الشمال جبال طوروس والبحر المتوسط، ومن الغرب المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، ومن الجنوب بحر العرب وجبال الحبشة وصعيد السودان والصحراء الكبرى، ومن الشرق جبال تشتاكو والبختيارية وخليج البصرة).⁹

- مؤلفات الدكتور قسطنطين زريق:

ألف الدكتور قسطنطين زريق خلال حياته المدينة عدداً كبيراً من الكتب والأبحاث والدراسات، باللغتين العربية والإنكليزية. صدر أول كتاب له بعنوان "الوعي القومي"، في بيروت عام 1939، وضع فيه قسطنطين زريق الملامح الأولى لمشروعه الفكري. وكان آخر مؤلفاته كتاب بعنوان "ما العمل"، صدر في بيروت أيضاً عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1998. وفيما بينهما ألف الكتب التالية:

⁹ - قسطنطين زريق، <https://www.asharqalarabi.org.uk/center/rijal-zraiq.htm>

- معنى النكبة (1948).
- أي غد (1957).
- نحن والتاريخ (1595).
- هذا العصر المتفجر (1963).
- في معركة الحضارة (1964).
- معنى النكبة مجدداً (1967).
- نحن والمستقبل (1977).
- مطالب المستقبل العربي (1983).
- من بعيد ومن قريب (مقالات وخطب - 1994).
- كراسي الكتاب الأحمر (1932).
- ما العمل (1998).

كتاب "معنى النكبة" الذي نشر بعد نكبة العرب في فلسطين عام 1948، هو الكتاب الذي أطلق شهرة قسطنطين زريق كمفكر قومي رئيس أدخل عبارة "النكبة" في اللسان العربي بالمعنى الذي أضحى مألوفاً، هذا الكتاب لم يكن بالشأن المستغرب من رجل عرف بالعلم ولكنه مارس العمل العام مع الإصرار على مقاومة الرغبة في حب الظهور، ولم يكن مستغرباً كتابه الثاني "معنى النكبة مجدداً" الذي تلى هزيمة الخامس من حزيران 1967، (وقد توخى المؤلف في الكتابين معاينة مواضع الاعتلال وفقدان المناعة والافتقار السياسيين والعسكريين والاجتماعيين - أي التاريخيين - لدينا معشر عرب القرن العشرين، مما أتاح للأخريين استباحة أراضينا واقتصادنا ومجتمعاتنا. ووجد المؤلف أن مواضع الاعتلال وعدم الاقتدار تكمن في جملة من العوامل التي تشكّل - مجتمعة - ظاهرة التخلف والفوات التاريخيين: من أهم هذه العوامل ضعف الروابط الداخلية، وتخلف المناحي العقلية، والتبعية الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، والانغلاق والتغني الخطابي بالتراث وبالماضي العظيم).¹⁰

¹⁰ - عزيز العظمة، أنا برس- حنان عقيل، <http://anapress.net/a/319055302991612>

- كتاب هذا العصر المُتفجر: نظرات في واقعنا وواقع الإنسانية:

جاء عمله التاريخي السياسي رائداً لمسارات الأزمات العربية والعالمية معاً، فنشر في عام 1963 كتابه "هذا العصر المُتفجر: نظرات في واقعنا وواقع الإنسانية" وختم هذه المرحلة من أعماله بكتابه "أعظم من مُنتصرين" الصادر باللغة الإنجليزية سنة 1968، لكن بين هذين العملين، ترك قسطنطين زريق للفكر القومي العربي مصادر مهمة مثل "نحن والتاريخ عام 1959، ومعركة الحضارة، في سنة 1964، ومعنى النكبة مُجدداً، عام 1967، ثم تطلع الى المستقبل بثلاثة كتب رائدة، وهي "نحن والمستقبل، 1977"، وكتاب "مطالب المستقبل العربي: هموم وتساؤلات 1983"، ويختتم حياته الفكرية بكتابه الرائع "ما العمل؟: حديث الى الأجيال العربية الطالعة" صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1998، وهو بمثابة رسالة وداع لأُمَّته والعالم ولشباب العرب...¹¹.

قبل وفاته بأربع سنوات جمعت أعمال قسطنطين زريق في أربع مجلدات صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام 1996. وكان الدكتور زريق قد وضع مقدمة كتاب "بين يدي الكتاب" للأديبة السورية سلمى الحفار الكزبري سنة 1961 ومقدمة كتاب "في القومية والحكم" لرئيس وزراء لبنان تقي الدين الصلح، الذي صدر عن دار النهار في عام 1999.

- يقول قُسطنطين زُريق:

(ليس بيننا من يُنكر أننا نَمُرُّ اليوم في أوقات عسيرة، ونُعاني شدةً ثقيلة الوطأة وأزمة خطيرة، فأينما نظرنا في نواحي حياتنا القومية والإنسانية تُجابهنا المصاعب والشدائد، وتعترضنا المشاكل والمنازعات، وما هذه الوقائع كلها سوى مظاهر لحقيقة لم تُعُدْ تحتاج الى برهان، هي أن العالم بأسره، ونحن منه، يعاني أزمة مُستعصية في أسس تفكيره وتنظيمه، أزمة إن

¹¹ - صلاح زكي أحمد، قسطنطين زريق.. مفكر عروبي عاش ومات على (الأمل القومي)، ارس 24،

لم تُعالج بحزم ونفاذ بصيرة، ذهبت بالمجتمع الإنساني بكامله وأودت به إلى الهلاك والفناء).¹²

ويسأل ما هو دور المُفكر والرائد والمُصلح؟

(أول واجبات المُفكر، بل واجبه، الأساسي، في أوقات الأزمات هو أن يُحسّ بالأزمة ويحيهاها، فلا يَتشغل عنها، بل يعيش أبدأً تحت وطأتها، فالأزمة لا تكون حقيقة واقعة إلا عندما يُشعر بها ويُدرك معناها وخطرها...) ولا شك أن قسطنطين زريق في خطابه هذا، كان يُخاطب نفسه، قبل سواها، وأنه كان يُحمّلها همها القومي.

على الرّغم من سلسلة الهزائم التي مُنينا بها نحن العرب، وثقافة الإحباط التي أصابتنا، ظلّ قسطنطين زريق مُتفائلاً بمستقبل الأمة العربية، وبالوحدة العربية التي ستبنيها الأجيال المُقبلة. (إنّه يوقن بأنّ العرب، وكما استطاعوا في العصور الغابرة أن يهضموا مدنيّات اليونان والرومان والفرس والهند ويمتصّوها بعقولهم النشيطة، ونفوسهم الظمأى، ثم يخرجوها إلى العالم وحدةً مُنسجمة، غنيّة المادّة، باهرة اللّون؛ كذلك ستكون مهمّة العرب في الأعصر الآتية، أن يتشرّبوا علم الغرب، ويجمعوا إليه العناصر المُختلفة التي تنشأ في الغرب والشرق كردّ فعل له، ويؤلّفوا بينها كلّها في وحدة جديدة تكون عنوان الحياة المُقبلة، يفيض بها العرب على العالم، كما فاضوا عليه بعلومهم وآدابهم وفلسفاتهم ومدنيّتهم الباهرة في القرون الماضية).¹³

كان العلامة الدكتور قسطنطين زريق محطّ ثقة كلّ جُلّاسه والمُتناقشين معه في مختلف القضايا التي كانت تُطرح أمامه، وعلى رأسها آخر تطوّرات القضية الفلسطينية، والصراع العربيّ - الإسرائيليّ، وحال المُجتمعات

¹² - صلاح زكي أحمد، قسطنطين زريق.. مفكر عروبي عاش ومات على (الأمل القومي)، ارس 24،

2020

<http://aswatonline.com/2020/03/24/%D9%82%D8%B3%D8%B7%D9%86%D8>

[B7%D9%8A%D9%86-](http://aswatonline.com/2020/03/24/%D9%82%D8%B3%D8%B7%D9%86%D8)

¹³ - صلاح زكي أحمد، قسطنطين زريق.. المصدر السابق.

العربيّة التي لا تُحسد عليها، سياسياً واقتصادياً وتنموياً، فضلاً عن الحرّيات العامّة والخاصّة، وذلك كلّه من منطلقٍ عروبيّ حضاريّ عميقٍ ومُتجاوز.

ربّما لهذا السبب أسبغوا عليه ألقاباً من مثل: “مرجعيّة العرب”، “داعية العقلانيّة في الفكر العربي الحديث”، “مرشد الوجدويين”، “العروبي النموذجي”، “فارس الوعي العربي”؛ واللقب الأخير جاءه، بحسب المفكّر د. رغيد الصلح، بُعيد ذبوع خبر صموده في بيروت في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان واحتلال أوّل عاصمة عربيّة في العام 1982.¹⁴

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري
كلية الاقتصاد – جامعة دمشق

¹⁴ - أحمد فرحات، قسطنطين زريق.. مرجعيّة العرب الجامعة، مؤسسة الفكر العربي، الأربعاء 8 يناير 2020.

<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08012020&id=e25228e2-a672-4a7e-96ee-06fd4820d758>

المراجع:

1. الدكتور صالح زهر الدين، رجالات من بلاد العرب، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى 2001.
2. تحرير أنيس صايغ، قسطنطين زريق 65 عاماً من العطاء، مكتبة بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، الطبعة الأولى 1996.
3. عزيز العظمة، قسطنطين زريق: عربي للقرن العشرين، مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت 2004.